

خطبة بعنوان: المفهوم الأوسع للصدقة

بتاريخ: 1 ذو القعدة 1442هـ - 11 يونيو 2021م

عناصر الخطبة:

أولاً: فضل الصدقة والحث عليهما

ثانياً: صور وأنواع الصدقات

ثالثاً: هيا قبل فوات الأوان

الموضوع

الحمد لله رب العالمين؛ القائل في كتابه العزيز: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ } .
(الحديد: 11). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **أما بعد:**

أولاً: فضل الصدقة والحث عليهما

لقد حث الإسلام على بذل الصدقات والإنفاق في سبيل الله عز وجل؛ ورغب في ذلك بضروب وأمثلة كثيرة من الكتاب والسنة؛ قال تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (البقرة: 261). قال ابن كثير: " هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنه تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل، لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة." أ.هـ

وترغيباً في الإنفاق أخبر الله سبحانه المنفقين بأن نفقتهم يخلفها عليهم فقال: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } .(سبأ: 39) " أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب. " (تفسير ابن كثير) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله تعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك." (متفق عليه). فهذا وعد من الله بالإنفاق على من أنفق في سبيل الله، والله تبارك وتعالى لا يخلف وعده. واعلموا أن ربكم يتجر لكم في الصدقة التي تخرجونها وينميها لكم. فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيَهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ. " (متفق عليه). " وقوله صلى الله عليه وسلم في ربها له كما يربي أحدكم فلو؛ يريد أن الله عز وجل ينمي الصدقة بتضعيف أجرها كما ينمي الإنسان الفلوه وهو أنثى ولد الخيل من ذكور الحمير ؛ أو فصيله وهو ولد الناقة ؛ لأن هذا مما جرت عادة الناس بتنميته بالتربية ورجاء زيادته. " (المنتقى - شرح الموطأ) .

إن الصدقة التي تخرجونها تجدونها وافية عند الله؛ ومن أوفى بعهده من الله؟! قال تعالى: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا} (المزمل: 20)؛ فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ». (مسلم). وعن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: بقي كلها غير كتفها. " (أحمد والترمذي وصححه). "أي: ما تصدقت به فهو باق . وما بقي عندك فهو غير باق ، إشارة إلى قوله تعالى: { مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ } (النحل: 96). " (تحفة الأحوذبي).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان؛ فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم؛ فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم؛ فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه؛ فاتقوا النار ولو بشق تمرة . " (متفق عليه). قال ابن حجر: " فيه الحث على الصدقة ؛ وفيه دليل على قبول الصدقة ولو قلت ، وقد قيدت في الحديث بالكسب الطيب ؛ وفيه دليل على قرب النار من أهل الموقف. " (فتح الباري) .

إن كثيراً من الناس يظن أن الصدقة تنقص المال؛ وهذا نبيكم صلى الله عليه وسلم لا يقسم على شيء فهو صادق مصدق؛ ومع ذلك جاء عند هذا الحديث فأقسم تأكيداً؛ فعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه. فأما الذي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة؛ ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزاً؛ ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . " (أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح).

قال النووي رحمه الله في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال» : " ذكروا فيه وجهين: أحدهما: معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية، وهذا مدرك بالحسن والعادة، والثاني: أنه وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه، وزيادة إلى أضعاف كثيرة. " وهكذا حث الإسلام على الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى كما جاء في القرآن والسنة .

ثانياً: صور وأنواع الصدقات

أبها الإخوة المؤمنون: الكثير منا - وخاصة الفقراء - يعتقد أن الصدقة قاصرة على الإنفاق المادي ؛ ولكن مفهوم الصدقة أوسع وأعم وأشمل من ذلك ؛ فهناك صور وأنواع كثيرة للصدقات منها :

كف الأذى عن الناس: فعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله: أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: « تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك ». (متفق عليه) .

ومنها: صنائع معروف متعددة: وقد جمعها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ؛ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ؛ قَالَ: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ؛ وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (مسلم). وَعَنْ أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصِيرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَامَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ». (صحيح ابن حبان).

ومنها: المعاشرة الزوجية: فالإسلام يعد المعاشرة الزوجية صدقة؛ مع أن فيها مآرب أخرى للزوجين يقول صلى الله عليه وسلم: "وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّبِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" (مسلم)، قال النووي: "في هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى حرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة."

ومنها: التسبيح والتلهيل والتكبير: فعَنْ أَبِي ذَرِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ؛ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ؛ وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ؛ وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ؛ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ؛ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ؛ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى. (مسلم)

ومنها: ما أكله الطير والدواب: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرَسُ غَرْسًا؛ أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا؛ فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْمَةٌ؛ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ". (متفق عليه).

ومنها: الإنفاق على النفس والأهل والولد: فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ " . (متفق عليه) . وَعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَتَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ. (أحمد والنسائي) .

وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ؛ دِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ؛ وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ " . (مسلم) .

ومنها: القرض الحسن: فلو أقرضت شخصاً ما مرتين ؛ فكأنك تصدقت بهذا المال مرة ؛ فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّتَيْنِ إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً " . (ابن ماجه وابن حبان والبيهقي) . ولذا قال ابن مسعود: لأن أقرض مرتين أحب إلي من أن أتصدق به مرة .

وبعد؛ فتلك أبواب الصدقات ومنافذ القربات، مَوْفَّقٌ من تَلَمَّسَهَا، ومَغْبُوءٌ من حُرْمِهَا، وفائزٌ من أحسن النية فيها، فهنيئاً لمن تصدق بماله وبفعاله، وبنواياه وأقواله، فملاً صحائفه بالصدقات، والمراء في ظل صدقته يوم القيامة.

ثالثاً: هيا قبل فوات الأوان

ينبغي على العبد أن يسارع إلى التصديق حال صحته وعافيته؛ فإنها أفضل الصدقة، فعن أبي هريرة، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أيُّ الصدقة أعظم أجراً؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقر، وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الخلقوم، قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان." (متفق عليه). وصدق الشاعر حيث يقول:

يا جامع المال يرجو أن يدوم له * * * كل ما استطعت وقدم للموازن
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت * * * وفاته ثلث مالي للمساكين

فسارعوا إلى فعل الخيرات والصدقات؛ ولا يستحقر أحدكم ما ينفقه حتى لو كان درهماً (جنيهاً واحداً) فرب درهم سبق مائة ألف درهم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبق درهم مائة ألف درهم." فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها؛ ورجل ليس له إلا درهماً فأخذ أحدهما فتصدق به." (النسائي وابن حبان والحاكم وصححه).

قال الياضي: "إذا أخرج رجل من ماله مائة ألف وتصدق بها وأخرج آخر درهماً واحداً من درهمن لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف درهم. وقال في المطامح: فيه دليل على أن الصدقة من القليل أنفع وأفضل منها من الكثير: { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة }؛ والدرجات تتباين بحسب تباين المقاصد والأحوال والأعمال." (فيض القدير للمناوي).

فعلِكم بالزكوات والصدقات؛ ولا سيما في ظل ظروف الوباء والبلاء؛ فأفضل الصدقة أن تفرج بها كرب صاحب البلاء والشدة؛ وبادروا قبل أن يأتيكم الأجل وأنتم لا تشعرون؛ وقتها يتمنى أحدكم الرجوع ليتصدق؛ ولكن هيهات هيهات!! { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ } (المنافقون: 10)؛ فالميت تمنى الرجوع قائلاً: فأصدق؛ ولم يقل لأصلي أو لأصوم أو غير ذلك!! قال أهل العلم: ما ذكر الميت الصدقة إلا لعظيم ما رأى من فضل ثوابها وأثرها بعد موته؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب: «إن الأعمال تباغت، فقالت الصدقة أنا أفضلكن». (إحياء علوم الدين).

فهيأ قبل فوات الأوان؛ قبل أن تندموا ولا ينفع الندم!!

نسأل الله أن يصبَّ علينا الخير صباً؛ وأن لا يجعل عيشنا كذا؛؛؛

كتبه: خادم الدعوة الإسلامية

وأقم الصلاة،،،،،

الدعاء،،،،،،،،،،

د / خالد بدير بدوي